

مجمع الأمثال

4593 - هَلَامٌ جَرَّاءٌ .

قَالَ المفضل : أَي تَعَالَوْا عَلَى هَيْئَتِكُمْ كَمَا يَسْهَلُ عَلَيْكُمْ وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ الْجَرِّ فِي السَّوْقِ وَهُوَ أَنْ تَتْرَكَ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ تَرعى [ص 403] .
فِي سِيرِهَا قَالَ الرَّاجِزُ :

لَطَالَمَا جَرَّ رَرْوُ تَكُنَّ جَرَّاءٌ ... حَتَّى نَوَى الْأَعْجَفُ وَاسْتَمَرَّاءٌ .
فَالْيَوْمَ لَا أَلُو الرِّكَابَ شَرَّاءٌ .

وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ الْمُسْتَطْعِمُ عَمْرُو بْنُ حِمْرَانَ الْجَعْدِيُّ زُبْدًا وَتَامَكَا حَتَّى قَالَ لَهُ عَمْرُو : كَلَاهُمَا وَتَمَرَا وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهَا فِي حَرْفِ الْكَافِ (انظر المثل رقم 3079) .
وَأَسْمَ ذَلِكَ الرَّجُلِ عَائِذُ وَكَانَ لَهُ أَخٌ يُسَمَّى جَنْدَلَةَ وَهُمَا ابْنَا يَزِيدَ الْيَشْكِرِيِّ وَلَمَّا رَجَعَ عَائِذُ قَالَ لَهُ أَخُوهُ جَنْدَلَةُ :

أَعَائِذُ لَيْتَ شَعَرِي أَي أَرْضِ ... رَمَتْ بِكَ بَعْدَ مَا قَدَّ غَيْبَتَ دَهْرًا .
فَلَمْ يَكُ يُرْ تَجِي لَكُمْ إِيَابُ ... وَلَمْ نَعْرِفْ لِدَارِكَ مُسْتَقَرَّاءٌ .
فَقَدْ كَانَ الْفِرَاقُ أَذَابَ جِسْمِي ... وَكَانَ الْعَيْشُ بَعْدَ الْمَصِّفْوِ كَدْرًا .
وَكَمْ قَاسَيْتُ عَائِذُ مِنْ فُطَيْعٍ ... وَكَمْ جَاوَزْتُ أَمْلَاسَ مُقَشَّعِرَّاءٌ .
إِذَا جَاوَزْتَهَا اسْتَقْبَلَتْ أُخْرَى ... وَأَقْوَدَ مُشْمَخِرَّ النَّيْقِ وَعَرَّاءٌ .
فَأَجَابَهُ عَائِذُ فَقَالَ :

أَجْنَدَلُ كَمْ قَطَعْتُ إِلَيْكَ أَرْضًا ... يَمُوتُ بِهَا أَبُو الْأَشْدِيَّالِ ذُعْرًا .
قَطَعْتُ وَلَا مِيعَاتُ الْإِلِّ تَجْرِي ... وَقَدْ أَوْتَرْتُ فِي الْمَوَامِدِ كَدْرًا .
وَلَطَامِيسَةُ الْمُتُونِ ذَعَرْتُ فِيهَا ... خَوَاصِبَ ذَاتِ أَرْوَالٍ وَغُبْرًا .
وَإِنْ جَاوَزْتُ مُقْشِرَةً رَمَتْ بِي ... إِلَى أُخْرَى كَتَلْتُكَ هَلَامٌ جَرَّاءٌ .
فَلَمَّ لَاحَ لِي سَغَبٌ وَلُوحٌ ... وَقَدْ مَتَّعَ النَّهَارُ لَقِيَتَ عَمْرًا .
فَقُلْتُ : فَهَاتِ زُبْدًا أَوْ سَنَامًا ... فَقَالَ : كَلَاهُمَا وَتَزَادُ تَمْرًا .
فَقَدَّسَ لَلْقِرَى شَطْبًا وَزَيْدًا ... وَطَلَّتْ لَدَيْهِ عَشْرًا ثُمَّ عَشْرًا .
فَذَهَبَ قَوْلُهُ مِثْلًا